# بديع الزمان سعيد النورسى ومكانته من التصوف

محمد بادشاه ☆ / محمد نعيم أشرف ☆

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

اصطفى الله تعالى علماءً من هذه الأمة لخدمة واصلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن بين تلك الشخصيات الفذة بديع الزمان سعيد النورسى ، عندما نلقى نظرة دقيقة على حياته وأعماله العلمية والفكرية والاصلاحية فنصل إلى نتيجة بأنه شخصية ذات الأبعاد المتعددة فمن تلك الأبعاد اخترت مكانته من التصوف وجعلت موضوع بحثى "بديع الزمان سعيد النورسى ومكانته من التصوف"

وقسمت بحثى إلى مباحث التالية ، التصوف لغة واصطلاحا، النورسى متصوف بين الاثبات والرفض، أهمية التصوف عند النورسى، موقف النورسى من وحدة الوجود، رده على المتصوفين حول بعض آرائهم۔

## التصوف لغة واصطلاحاً

ورد فى الصحاح أن الصوف للشاة ، ويقال كبش صاف أى كثير الصوف، وصاف السهم عن الهدف مال وعدل ، والمضارع منه يصوف ويصيف. [1]

يرى صاحب (المصباح المنير) أن كلمة صوفية كلمة مولدة لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق فى اللغة

☆ الدكتور حافظ محمد بادشاه، الأستاذ المساعد فى كلية اللغة العربية وآدابها، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، باكستان۔

☆☆ محمد نعيم أشرف، محاضر فى كلية اللغة العربية وآدابها، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، باكستان۔

العربية. وعلى هذا تكون كلمة تصوف مبتدعة محدثة وغير معروفة عند العرب الأوائل ولا فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين. ٢

وذهب قوم إلى أن الصوفية نسبة إلى الصوف وذلك لأن النسبة إلى الصوف صوفى وممن رجح هذا القول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله فى الفتاوى والسهروردى وابن خلدون وحجتهم على صحة هذه النسبة :إن الصوف لباس الأنبياء وخاصة سيدنا محمد وعيسى عليهما السلام وهو لباس الصحابة رضى الله عنهم والتابعين والصوفية المتقدمين رحمهم الله تعالى .

وأما التصوف فى الاصطلاح فنجد عدة أقوال من نشأة الصوفية ومن تلك الأقوال : يقول الشيخ زكريا الأنصارى: "التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية." ٣

قول الإمام الجنيد: "التصوف استعمال كل خلق سنى، وترك كل خلق دنى" ٤

يقول الكتانى: إن التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى الصفاء. ٥

يقول أبو محمد الحريرى فى تعريف التصوف: الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى. ٦

ويترجح لدينا بعد عرض تلك التعريفات تعريف ابن خلدون للتصوف لأنه يدل دلالة واضحة على معانى التصوف المتعددة وعلى أحوال الصوفية واهتماماتهم وهو "العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة." ٧

## التصوف فى الدولة العثمانية (عصر النورسى)

كان للطرق الصوفية دورا بارزا فى إدارة شئون الدولة وتأسيسها فكان شيوخ الطرق يعملون على نشر الإسلام وإعداد المسلمين للجهاد .وقد تقلد الصوفية مناصب كبيرة فى الدولة، ومن أشهر الطرق التى كان لها دورا بارزا فى الدولة العثمانية الطريقة البكتاشية والطريقة الرفاعية والطريقة المولوية .وكان السلاطين العثمانيون مرتبطون بشيوخ الصوفية وبالطرق والتكايا، وكان لأهل التصوف دورهم فى الدفاع عن الإسلام وكان لهم نفوذ على الهيئة الحاكمة فى الدولة ورقابة سياساتها، وكان رجال التصوف يشتركون مع الجيش العثمانى فى فتوحاته وساهموا فى تحقيق العديد من الانتصارات .

انتشرت الطرق ٨ فى كافة أنحاء الأناضول ، لاسيما بعد قيام مشايخ الطرق ومريديهم بالاشتراك فى الدفاع عن الناس ضد الغزو التترى ، وهذا ما أثر فى العامة وجعلهم يشعرون أن لا معنى للعيش إلا بالدخول فى إحدى الطرق والارتباط بها من قريب. ٩ وأصبح لكل مجموعة من الناس حلقة أو حلقات ذات صلة بإحدى

الطرق الكبيرة ، وانتشرت بذلك الزوايا والتكايا في كافة أنحاء الأناضول.

ويذكر بعض الباحثين ١٠ أن الفضل في دخول بعض الشعوب الأوروبية في الإسلام -التي أصبحت من رعايا الدولة بعد الفتح - إنما يعود إلى الطرق الصوفية التي قامت بنشر الإسلام من خلال هجرة أفرادها إلى تلك البلاد وإنشائهم كثيراً من التكايا والزوايا في مدة وجيزة.

ونظراً لكثرة عدد الأتباع والمريدين من مختلف الطبقات الاجتماعية ، لاسيما الأغنياء وأصحاب النفوذ في الدولة ، فقد اكتسب مشايخ الصوفية مكانة اجتماعية مرموقة ونفوذاً سياسياً فعالاً ، حتى غدت الدولة تتوسل إلى الشيخ طالبة مساعدته وتأييده في إخماد فتنة ١١، أو القضاء على معارضة.

لكن الطرق في الدولة العثمانية لم تكن كلها ذات اتجاه واحد ، بل كانت كل طريقة تمثل اتجاهاً معيناً يرسمه . في الغالب -شيخ الطريقة ثم من يخلفونه عليها ؛ لذا فقد ظهرت طرق مغالية ، منحرفة ، حصرت الإسلام في ممارسات محددة وألفاظ خاصة وتعابير لا يفهمها كثير من الناس ، فابتعدت بذلك عن روح الإسلام، بل إنهم: وضعوا آداباً ألزموا بها كل من سلك طريقهم، فكان بعضها يقضي بمحبة الجهل وعدم التعلم على يد مدرس أو كتاب ، وتجنب التفكير فيما يعرض له من ظواهر ... وقضوا بذلك على الحياة العلمية ... ١٢.

لقد نما التصوف في الدولة العثمانية حتى أضحى دافعا اجتماعيا لا يمكن إنكاره، لذا عمدت الدولة إلى التعامل معه بكل حرص وعناية ولعل موقفها إزاء هذه الطرق كان يحدده أصحاب الطرق أنفسهم فإن هم أيدوا السلطة في سياستها الداخلية والخارجية وجدوا كل الدعم والمساندة والرضى ، بل قد يصل الأمر إلى حد الإشادة الرسمية والانتساب العلني ، أما إذا اختلفت المواقف ، فإن القمع والمصادرة هما السياسة المتبعة ضد هذه الطرق. ١٣.

## النورسي متصوف بين الاثبات والرفض

عندما نمعن النظر في أقوال النورسي وآراءه حول التصوف فنكون مذبذبين لأنه يرفض كونه صوفيا ومع ذلك نجد المصطلحات وقضايا التصوف مبثوثة ومنتشرة بين كتاباته ورسائله فنصل إلى نتيجة بأنه ما كان متصوفاً بالمعنى المعروف بأنه أفنى نفسه في التصوف و نازله ولكن عندما نقرأ توجيهاته وإرشاداته حول التصوف فنجد بأنه كان على مرتبة عالية من التصوف.

ينفي نورسي نفياً قاطعاً كونه صوفياً: "أنا لست شيخ طريقة صوفية ، وإنما أنا عالم دين إن الزمان ليس زمن الطريقة" ١٤ إن هذا الزمان زمان إنقاذ الإيمان. ١٥

نظراً إلى المعاني يمكن لنا القول بأن النورسي قد أخذ منها بحظ وافر وتحلى بها حتى صارت ميسما

لـه، فهـو الـرجـل الـذى انـقـطع للحق وأنس به حتى كان يمضى عليه أكثر من شهرين أو ثلاثة وهو وحيد لا يرى شخصا إلا بعد مرور عشرين يوما أو أكثر منفرداً مختليا بنفسه على قمة جبل جام المطل على مراعى بارلا.

وإذا كان التصوف استزاده من الخير وخروجا من كل خلق دنيء ودخولا فى كل خلق سنى، كما عبر الـحـريـرى، أو كان اشتغالا بالمفيد من الأعمال واسترسالا مع مراد الله كما عبر به رويم فإن تلك المعانى متوفرة للنورسى حاضرة فى أخلاقه أقوى حضور.

وعـلـى الـرغم من نفى النورسى الصريح والمتكرر أن يكون رجلاً صوفياً فإن الرجوع إلى تفاصيل حياته ومـؤلـفـاته يكشف عن مسحة صوفية لشخصيته، وهو يؤكد هذه المسحة بطريقة كتابة الرسائل أولاً، حيث مزج فيها بين القلب والعقل، ثم بما يستعمله من رموز وإشارات ومصطلحات لا نكاد نراها إلا لدى أهل التصوف. ١٦

ولهـذه الـمؤثرات المذكورة، سلك بديع الزمان منذ بداية حياته مسلك الزهد والتقشف وظل كذلك إلـى حيـن وفـاتـه؛ لـذا فـلا غرابة من قوله وهو يتحدث عن شبابه: كـنـت أكـرر وأقـول فى العشرين من عمرى: سـأنـزوى فـى أخـريـات حيـاتى فى مغارة، مبتعداً عن الحياة الاجتماعية كما ينزوى الزهاد فى الجبال، وكذلك قررت عندما كنت أسيراً... ١٧

## أهمية التصوف عند النورسى

يـكـفى لنا فى أهمية التصوف عند النورسى قوله: "إن أخـال لو كان الشيخ عبدالقادر الكيلانى والشاه الـنـقـشبـندى والإمام الربانى وأمثالهم من أقطاب الإيمان رضوان الله عليهم أجمعين فى عصرنا هذا لبذلوا كل ما فـى وسـعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية... نـعـم لا يمكن دخول الجنة دون إيمان بينما يدخلها الكثيرون جدا دون تصوف. ١٨

وقـال: يـجب ألّا ننسى فضل أهل الطرق فى المحافظة على مركز الخلافة الاسلامية "استانبول" طوال خـمـسـمـائة وخـمسين سنة رغم هجمات عالم الكفر وصليبية أوروبـا. فـالـقـوة الايمانية، والمحبة الروحانية، والاشـواق المتفجرة من المعرفة الإلهية لأولئك الذين يرددون "الله... الله". فـى الزوايا والتكايا المتممة لرسالة الـجـوامـع والـمسـاجـد، والـرافدة لهما بجداول الايمان حيث كانت تنبعث أنوار التوحيد فى خمسمائة مكان، لتشكل بمجموعها اعظم نقطة ارتكاز للمؤمنين فى ذلك المركز الاسلامى.

وفـى أثـناء إجابة النورسى على احد الاسئلة المتعلقة بموقع الصحابة والاولياء يشير من طرف أولاً إلى الآتـى: لـقـد اجـمـع اهل السنة والجماعة على ان الصحابة هم أفضل البشر بعد النبى ﷺ، وتطرح ثلاثة إيضاحات لـحـكـمة ذلك. واود ان ابين احدها فقط وذلك لانها تتعلق بموضوعنا مباشرة فى هذا الايضاح الخاص، يستخدم

النورسى لغة المتصوفين التى تحمل معانى عميقة، ويشبه المشاركة بالصحبة النبوية بأنها رأس كل اكسير:

"ان الصحبة النبوية اكسير عظيم، لها من التأثير الخارق ما يجعل الذين يتشرفون بها لدقيقة واحدة ينالوا من انوار الحقيقة ما لا يناله من يصرف سنينًا من عمره فى السير والسلوك، ذلك لان فى الصحبة النبوية انصباغًا بصبغة الحقيقة، وانعكاسًا لانوارها، اذ يستطيع المرء بانعكاس ذلك النور الاعظم ان يرقى الى مراتب سامية ودرجات رفيعة، وان يحظى بالتبعية والانتساب بارفع المقامات. مثله فى هذا مثل خادم السلطان، الذى يستطيع ان يصل الى مواقع رفيعة لا يقدر على بلوغها قواد السلطان وامراؤه."

ومن هذا السر نرى انه لا يستطيع ان يرقى اعظم ولى من أولياء الله الصالحين الى مرتبة صحابى كريم للرسول الاعظم ﷺ، بل حتى لو تشرف اولياء صالحون مرارًا بصحبة النبى ﷺ فى الصحوة، كجلال الدين السيوطى مثلاً وأكرموا بلقائه يقظة فى هذا العالم، فلا يبلغون ايضًا درجة الصحابة لان صحبة الصحابة الكرام للنبى ﷺ كانت بنور النبوة، إذ كانوا يصحبونه فى حالة كونه نبيًا رسولاً .أما الأولياء الصالحون فان رؤيتهم له إنما هى بعد وفاته، اى بعد انقطاع الوحى، فهى صحبة بنور الولاية، أى أن تمثل الرسول ﷺ وظهوره لنظرهم انما هو من حيث الولاية الاحمدية، وليس باعتبار النبوة:

## مسلك النورسى من الطريقة

سلك النورسى طريق الحقيقة الشرعية -كما يسميها -المستندة إلى المنهج القرآنى .صحيح أن بديع الزمان معجب بالغزالى وأمثاله ، بيد أنه يرى أن ظروف عصره تجعل التصوف عاجزاً عن الوقوف أمام التيار المشكك فى الإسلام ؛ لأنه يعتمد على التجربة الذاتية فى إدراك الحقائق ، ولا يعتمد على البراهين المنطقية والحجج العقلية والأدلة العلمية التى هى صفة هذا العصر. ١٩

ومادام منتهى التصوف . كما يرى النورسى . لا يقوم إلا بالاعتقاد الصحيح بالحقائق الإيمانية والعمل التام بالفرائض ، ومقصده هو خدمة هذه الحقائق خدمة مباشرة ، وخدمة الفرائض الدينية و السنة النبوية ، والسعى لإزالة الأمراض القلبية ، فما دام التصوف هكذا ، فإنه يعتقد أن أقطاب الصوفية لو كانوا فى عصره لبذلوا كل ما فى وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية ؛ لأنهما منشأ السعادة الأبدية .نعم لا يمكن دخول الجنة من دون إيمان ، ولكن يدخلها الكثيرون جداً دون تصوف .فالإنسان لايمكن أن يعيش دون خبز ، ولكن يمكنه العيش دون فاكهة ، فالتصوف فاكهة ، والحقائق الإسلامية خبز. ٢٠

## موقف النورسى من وحدة الوجود

يلخص النورسي مفهوم وحدة الوجود عند المتصرفة فيقول :نعتبر وحدة الوجود التي تضم وحدة الشهود من المشارب الصوفية المهمة وهي تعني حصر النظر في واجب الوجود ، إن الموجود الحق هو واجب الوجود سبحانه فحسب وإن سائر الموجودات ظلال باهتة وزيف ووهم لا يستحق إطلاق صفة الوجود عليها حيال واجب الوجود، لذا فإن أهل المشرب يذهبون إلى اعتبار الموجودات خيالاً ووهما ويتصورونها عدما ومرتبة ترك ما سواه أي ترك ما سوى الله حتى إنهم يتطرفون ويذهبون إلى حد اعتبار الموجودات مرايا خيالية لتجليات الأسماء الحسنى. ٢١

لقد كان النورسي مدركا ما تتضمنه وحدة الوجود من مضمون مجاف للتصور الإسلامي فمن ثم ردها بقوة متوسلا بكل الأدلة التي رآها كافية في دحض وحدة الوجود، ويمكن إجمال نقاشه في الجوانب التالية.

يرى النورسي أن وحدة الوجود مشرب ونزعة وحال وهي مرتبة ناقصة وهي لكونها مشربة بلذة وجدانية ونشوة روحية فإن معظم الذين يحملونها إليها لا يرغبون في مغادرتها فيقعون فيها ظانين أنها هي المرتبة الأخيرة التي لا تعلو إنها المرتبة المستقيم لهو طريق الصحابة والتابعين والأصفياء الذي يرون أن حقائق الأشياء ثابتة وهي القاعدة الكلية لديهم وهم الذين يعلمون أن الأدب اللائق بحق الله سبحانه وتعالى هو قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ ٢٢ ينزه عن الشبه والتحيز والتجزؤ وإن علاقته بالموجودات علاقة الخالق بالمخلوقات فالموجودات ليست أوهاما كما يدعي أصحاب وحدة الوجود بل هذه الأشياء الظاهرة هي من آثار سبحانه وتعالى، إذا فليس صحيحا قولهم لا موجود إلا هو وإنما الصحيح لا موجود إلا منه. ٢٣

مما يدفع به النورسي وحدة الوجود أن القائلين بها إذا كانوا يقولون لا موجود إلا الله وينزلون الموجودات منزلة العدم والخيال فإن أسماء الله تعالى لا تجد تجلياتها وذلك كأسماء الرحمن والرزاق والقهار والجبار والخلاق والرحيم، التي تظل اعتبارية ما دام اسم الرزاق يقتضي مرزوقا موجودا واسم القهار يقتضي مقهورا موجودا، فإذا كانت الموجودات معدومة فإن معاني هذه الأسماء الإلهية تتعطل وتصير غير ذات موضوع.

لقد حاول النورسي رد القول بوحدة الوجود إلى مقامات روحية قاصرة تجعل صاحبها ينخدع وإن لم يكن قصده أن يخدع أحداً، فمن ثم لا يكون القائل بها موضوع قدوة أو اتباع بل قد يكون أحوج إلى التوجيه والإرشاد ، ليكتشف منزلقه وما يتأدى إليه من مآلات فكرية خطيرة .

إن أهم ما يسترعي نظر الباحث، وهو يتأمل رسائل النور، هو أن الأستاذ لا يسمي وحدة الوجود فلسفة، ولا يسميها مذهبا، ولا يسميها نظرية، بل يسميها مشربا ولعله سماها بهذا الاسم وهو يستحضر قوله تعالى: ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ ٢٤ ولهذا الأمر دلالته الكبيرة ، ذلك أن الفلسفة نسق فكري عقلاني ، وأن المذهب نسق فكري أو شرعي، داخل نسق أعم، بينما "وحدة الوجود" ليست عنده من الفلسفة في شيء ، ولا

من المذهب فى شيء ، بل هى عنده مشرب، أى تجربة ذاتية روحانية، وهذا ما أفاض القول فيه لا ترقى إلى مرتبة الفلسفة أو المذهب، إن دلالة التسمية إمارة على الموقف من وحدة الوجود.

إن مشربية وحدة الوجود ، قائمة فى نظر الأستاذ على العاطفة والرياضة، لا على العقل ولا على الشرع. وأصحابها لا علماء ولا فلاسفة، بل عشاق مستغرقون : "ولأنهم يتصورون بسُكر العشق وبمقتضى شوق البقاء واللقاء والوصال، إن فى وحدة الوجود مشربا حالياً فى منتهى الذوق، لذا يجدون ملجأهم فى مسألة وحدة الوجود لأجل التخلص من فراقات رهيبة. "ويسمى أهلها" أهل السكر والاستغراق، وأصحاب الشوق والعشق." ٢٥

قرر الأستاذ بديع الزمان رحمه الله ، فى غير موضع من رسائل النور، إن المعرفة الصوفية القائمة على القول بوحدة الوجود ناقصة، لأنها "حال" و"مشرب" ذلك أن الأولوية دائما هى للمعرفة الشرعية القرآنية يقول:: " أما وحدة الوجود فهى مشرب ونزعة وحال وهى مرتبة ناقصة، ولكن كونها مشربة بلذة وجدانية ونشوة روحية فإن معظم الذين يحملونها أو يدخلون إليها لا يرغبون فى مغادرتها فيبقون فيها، ظانين أنها هى المرتبة الأخيرة التى لا تسمو فوقها مرتبة ولا يطالها أفق." ٢٦

وقف بديع الزمان طويلاً عند هذه القضية ، مبيناً حقيقتها وأسباب الانحراف عند أصحابها ، وبدأ بتعريفها كما هى عند الصوفية بقوله: تعتبر وحدة الوجود التى تضم وحدة الشهود من المشارب الصوفية المهمة، وهى تعنى: حصر النظر فى وجود واجب الوجود ، أى إن الموجود الحق هو واجب الوجود سبحانه فحسب ، وإن سائر الموجودات ظلال باهتة وزيف ووهم لا تستحق إطلاق صفة الوجود عليها حيال واجب الوجود ، لذا فإن أهل هذا المشرب يذهبون إلى اعتبار الموجودات خيالاً ووهماً ، ويتصورونها عدماً فى مرتبة ترك ما سواه ، أى: ترك ما سوى الله حتى إنهم يتطرفون ويذهبون إلى اعتبار الموجودات مرايا خيالية لتجليات الأسماء الحسنى. ٢٧

ويحذر بديع الزمان من مخاطر وحدة الوجود ، وخاصة إذا تحولت من مجرد شطحة وجدانية ذوقية إلى أسس قولية وعقلية وعلمية ؛ لأنها حينئذ تصادم الدساتير العقلية ، والقوانين العلمية ، وأصول العقائد الإسلامية النابعة من القرآن والسنة ، ولن تكون إلا إغراقاً فى الطبيعة والمادة ، وإبعاداً عن حقيقة الإسلام، ٢٨ وبذلك سيعطى الترويج لمذهب وحدة الوجود فى هذا العصر الذى تمكن فيه الفكر المادى - الحجة للماديين ليكونوا دعاة المذهب نفسه على الرغم من أن البون شاسع بين منطلق كل طرف.

ثم يحذر من تلقين الناس هذه النظرية فى الوقت الحاضر ، لضررها البالغ عليهم ، فكما أن التشبيهات إذا خرجت من أيدى الخواص إلى أيدى العوام عدّوها حقائق ، كذلك وحدة الوجود وأمثالها ، إذا ما سرت بين العوام تلقوها طبيعة وأنتجت أضراراً كثيرة... ٢٩

## رده على المتصوفين حول بعض آرائهم

كان زمن بديع الزمان زمن مقارنة بين مسلك رسائل النور الذى هو مسلكه ومسلك الطريقة الصوفية ، مبيناً قصورها وعجزها ، وموضحاً أن الرسائل لا تلتفت إلى الكرامات الشخصية والكشف التى يولبها بعض أهل الطرق أهمية ، وإنما تنحصر وظيفتها فى نشر أنوار الإيمان وإنقاذ إيمان المؤمنين ٣٠ ، بل إنه يؤكد أن الطلاب الحقيقيين يرون خدمة الإيمان فوق كل شء فحتى لو مُنحوا مرتبة القطبية يفضلون عليها خدمة الإيمان حفاظاً على الإخلاص. ٣١

فطريق رسائل النور لا تُطلب فيه الأذواق والكرامات المؤقتة كما تطلب فى الطرق الصوفية ، وذلك لحِكم كثيرة -كما يبين بديع الزمان ، أهمها.

سر الإخلاص: إذ إن هذه الأذواق والكرامات المؤقتة فى الدنيا تصبح مقصودة لذاتها لدى من لم يتمكنوا من ضبط أنفسهم وترويضها ، فتفسد الإخلاص.

إن الكرامات والكشفيات هى لبث الثقة فى نفوس العوام من أهل الطريقة ، وبما أن الرسائل تمنح إيماناً تحقيقياً ، فإنها لاتدع حاجة إلى تحرى مثل هذه الكرامات.

إن مسلك الرسائل لا يركز الأهمية على الشخص ، حيث يكتفى الجميع بما نالته رسائل النور من الكرامات العلمية فى نشر الحقائق الإيمانية.

لا يسأل طلاب النور الأذواق والكشفيات فى الدنيا ، لأنها فانية ، أما اللذة الحقيقية فهى فى الآخرة الباقية. ٣٢

ويؤكد بديع الزمان أن مسلكه مخالف لمسلك الصوفية بقوله: فهناك اصطلاحات تدور بين المتصوفة أمثال: الفناء فى الشيخ ، الفناء فى الرسول ، وأنا لست صوفياً، ٣٣ ثم يوضح مسلك طلبة النور ولكن الفناء فى الإخوان دستور جميل يناسب مسلكنا تماماً... أى أن ينسى كل أخ حسياته النفسانية ، ويعيش فكراً مع مزايا إخوانه وفضائلهم ، حيث إن أساس مسلكنا ومنهجنا هو الأخوة فى الله، وإن العلاقات التى تربطنا هى الأخوة الحقيقية ، وليست علاقة الأب مع الابن ، ولا علاقة الشيخ مع المريد ، وإن كان لابد ، فمجرد العلاقة بالأستاذ. ٣٤

إن النورسى كان أكثر انطلاقا وإسهابا فى نقد بعض جوانب الفكر الصوفى، وفى تحليل بعض مقولاته التى ابتعدت عن جوهر الشريعة ومنطق الإسلام، ومنها نظرية وحدة الوجود، ووحدة الشهود واعتقاد بعضهم المبالغ فى الولاية والأولياء.

تشيع فى أدبيات التصوف مصطلحات تعبر عن جوهر التصوف لدى بعض المتصوفة الذى خرجوا بالتصوف من طابعه العلمى إلى أن دخلوا به فى مجال النظر الفلسفى، فكانت تلك المصطلحات موضوع انتقاد

ومراجعة من علماء الشريعة بعد أن بدا لهم أن تلك المصطلحات تناقض التصور الإسلامى فى وجه من الأوجه، وقد يكون من أكثر تلك المصطلحات تعرضا للنقد والمساءلة مصطلحات وحدة الوجود، ووجود الشهود وحدود الولالية الصوفية، وختم الولاية والمعراج الصوفى والديوان الصوفى وثنائية الحقيقة والشريعة.

لقد وقف النورسى أمام تلك المصطلحات وأفاض فى القول عنها على وجه الإنصاف مبرزا حقيقة ما فى مضمونها. ويمكن استعراض موقف النورسى من جملة من تلك المفاهيم منها:

## ثنائية الحقيقة والشريعة عند بعض المتصوفة

يحرص بعض المتصوفة على إبراز فارق بين الحقيقة والشريعة أو بين علوم القلوب وعلوم الرسوم، ويجعلون علوم القلوب والذوق علوما حية بينما يجعلون علوم الرسوم علوما ميتة حتى قال قائلهم متوجها بالخطاب إلى علماء الشريعة أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علما عن الحى الذى لا يموت.

لقد سجل النورسى أثناء حديثة عن ثنائية الحقيقة والشريعة كما افترضها بعض المتصوفة أنها وهم وخطأ نشأ عن الجهل بمدار الشريعة واستيعابها لكل التصرفات على اختلاف درجات قربهم من الخالق، وقد أثبت النورسى أن بعض المتصوفة، قال :إن الشريعة هى قشر ظاهرى. ٣٥

لقد رد النورسى هذا القول بأن الشريعة شاملة مستوعبة وعلومها منها الجلية الواضحة التى تنكشف لعموم الناس ومنها علوم دقيقة لا يدركها إلى خواص الناس، والخطأ يكمن فى تسمية بعض علوم الشريعة حقيقة وأخرى شريعة.

إن الشريعة هى نتيجة الخطاب الإلهى الصادر مباشرة دون حاجز أو ستار، وبناء عليه فإن أى معرفة لا يمكن أن تسمو سمو ما كان مصدره الوحى ، والشريعة إنما هى بناء شامخ وأعلى مراتب الطريقة ودرجات الحقيقة ليست إلا أجزاء من كلية الشريعة. ٣٦

إن ما قاله النورسى فى موضوع ثنائية الحقيقة والشريعة هو ما حرض على تأكيده أنبه العلماء الذين نصوا على أن الشريعة هى الميثاق بين الله وعباده وعلى أساسها تجرى المثوبة والمؤخذة، بناء على قوله تعالى ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾. ٣٧

بما أن بيئته كانت منتشرة بالطرق الصوفية بل نشأ عليها ، فقد تحدّث النورسى عنها حيث قال: لا يمكن أن تدان "الطريقة" ولا يحكم عليها بسيئات مذاهب ومشارب اطلقت على نفسها ظلماً اسم "الطريقة". وقال: علماً أنه يندر أن يوجد فى الاشياء أو فى المناهج أو المسالك ما هو مبرأ من النقص والقصور، وأن تكون جوانبه كلها حسنة صالحة، فلا بد إذاً من حدوث نقص وأخطاء وسوء تصرف، إذ ما دخل امرءٌ من ليسوا من أهله الا اساؤا اليه.

## نتائج البحث

بعد انتهاء هذا البحث على أن ألخص في عدة نقاط التالية:

إن الدولة العثمانية مركزا مهما للمتصوفين. لأن سلاطينها مرتبطون بشيوخ الصوفية، وكان رجال التصوف ساهموا في انتصارات مختلفة للدولة العثمانية.

كما عرفنا أن النورسي ينفي كونه صوفياً "أنا لست شيخ طريقة صوفية، وإنما أنا عالم دين." ولكن لما نمعن النظر إلى أقواله وأرائه في التصوف واصلاحات المتصوفين وغير ذلك فنصل إلى نتيجة بأن بديع الزمان من الشخصيات المتصوفين البارزين.

سلك النورسي طريق الحقيقة الشرعية، ويسميها "المستندة إلى المنهج القرآني" وكان النورسي مائل إلى الغزالي وأمثاله.

يرى النورسي أن وحدة الوجود مشرب ونزعة وحال وهي مرتبة ناقصة. إن مشربية وحدة الوجود، قائمة في نظر الأستاذ على العاطفة والرياضة، لا على العقل ولا على الشرع. وأصحابه لا علماء ولا فلاسفة، بل عشاق مستغرقون.

## الهوامش:

١. فيومي، **المصباح المنير** (لبنان: مكتبة لبنان) ص ٣٥٢.

٢. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (قاهرة:دار الحديث) ص٣٧٥.

٣. القشيري، أبي القاسم، **الرسالة القشيرية** (بيروت: دار الفكر) ص ٧ .

٤. مصطفى المدني، **النصرة النبوية**، ص ٢٢.

٥. **الرسالة القسيرية**، ص ٢١٨.

٦. نفس المرجع، ص/ ٢١٦

٧. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، **مقدمة** (داريعرب، ٢٠٠٤) ج ١، ص ٢٨١.

٨. لفظ "طريق "في التصوف يختصر جملة "الطريق إلى الله "؛ لذلك كان من الشمول بحيث تندرج تحته التجربة الصوفية بكاملها .(سعاد الحكيم :المعجم الصوفي مادة :طريق) .

٩. سهيل صابان،**الأوضاع الثقافية**، تحقيق عثمان على (المعهد العالمي للفكر الإسلامي) ، ص ٥٥ ، وانظر بديع الزمان النورسي وأثره في الفكر الإسلامي، لحسن عبدالرحمن بكير

١٠ـ سلجوق آرآيدن، **التصوف والطرق** . Selcuk Eraydin : *Tasavvuf ve tarikalar* . ist . Marifet Yay . ١٩٨١، ص ١٧٠.

١١ـ حسن كوجوك، **دور الطرق الاجتماعى فى الشعب التركى**، ص ١٩٧.

١٢ـ سهيل صابان نقلا عن توفيق الطويل :التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى ، ص/ ٥٥

١٣ـ **دور الطرق الاجتماعى فى الشعب التركى**، ص ١٩٩.

١٤ـ **المكتوبات لبديع الزمان** (دار آفاق الجديدة) ص ٧٩.

١٥ـ الملاحق لبديع الزمان ، ص ٢٦٣ و ٣٠٩.

١٦ـ استخدم النورسى كثيراً من الرموز المشهورة فى التراث الصوفى ، مثل :الشمس ، العندليب والوردة .. والرسائل زاخرة بهذه الرموز .

١٧ـ سعيد النورسى، **اللمعات**، ترجمة، إحسان قاسم الصالحى (استانبول،تركيا: دار سوزلر،١٩٩٤) ص ٤٠٧.

١٨ـ **المكتوبات**، المكتوب الخامس ص ٢٠.

١٩ـ **الملاحق فى فقه دعوة النور**، ترجمة، إحسان قاسم الصالحى (استانبول،تركيا: دار سوزلر، ١٩٩٥) ص ١٩٢..

٢٠ـ **المكتوبات**، ص ٢٧.

٢١ـ عبدالمنعم الحنفى، **معجم مصطلحات الصوفية** ، ص ٦٦.

٢٢ـ الشورى: ١١.

٢٣ـ **اللمعات**، ص ٦١

٢٤ـ البقرة: ٦٠

٢٥ـ جعفر بن الحاج السلمى، **بديع الزمان النورسى والتصوف** ، ص ٨٥٦

٢٦ـ **المكتوبات**، ص ١٠٥

٢٧ـ المصدر السابق ، ص ٥٧٩

٢٨ـ **المكتوبات**، ص ٥٨٠

٢٩ـ **اللمعات**، ص ٤٤٣

٣٠ـ **الملاحق فى فقه دعوة النور**، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠

٣١ـ نفس المصدر ، ص ٢١٨

٣٢ـ المصدر السابق ، ص ٢١٨

٣٣ـ **اللمعات**، ص ٢٤٥

٣٤ـ نفس المرجع ، ص/ ٢٤٥

٣٥. المكتوبات، ص ٥٨٣

٣٦. نفس المرجع ٣٧. الحاشية: ١٨

## المراجع والمصادر


١. الأوضاع الثقافية، لسهيل صابان، تحقيق عثمان على ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى.

٢. بديع الزمان النورسى وأثره فى الفكر الإسلامى، لحسن عبدالرحمن بكير

٣. بديع الزمان النورسى والتصوف ، للأستاذ الدكتور جعفر بن الحاج السلمى

٤. التصوف والطرق لسلحوق آرآيدن، Selcuk Eraydin : Tasavvuf ve tarikalar . ist . Marifet Yay . ١٩٨١

٥. دور الطرق الاجتماعى فى الشعب التركى لحسن كوجوك

٦. الرسالة القشيرية لأبى القاسم القشيرى ، دار الفكر

٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث القاهرة

٨. اللمعات، سعيد النورسى، ترجمة، إحسان قاسم الصالحى، دار سوزلر، استانبول، تركيا، ١٩٩٤.

٩. المصباح المنير للفيومى، مكتبة لبنان، لبنان

١٠. معجم مصطلحات الصوفية ، د .عبدالمنعم الحنفى

١١. مقال :آراء النورسى حول مذهب وحدة الوجود د .بلال قوشبنار *

١٢. مقال :أهمية روحانية النورسى المتبصرة فى عالم مادى متأزم ، أ .د .مصطفى بنحمزة ، وحدة ـ المغرب

١٣. مقال :بديع الزمان النورسى والتصوف أ .د .جعفر ابن الحاج السَلمى ، أستاذ فى جامعة عبدالمالك السعدى -كلية الآداب تطوان / المغرب

١٤. مقال :تأملات فى بعض أدوات التزكية الروحية فى رسائل النور ، قراءة فى خصوصيات المنهج التربوى ، د .محمد جيكب ، جامعة شعب الدكالى ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية .

١٥. مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، دار يعرب، ٢٠٠٤

١٦. المكتوبات لبديع الزمان ، دار آفاق الجديدة .

١٧. الملاحق فى فقه دعوة النور، ترجمة، إحسان قاسم الصالحى، دار سوزلر، استانبول، تركيا، ١٩٩٥

١٨. النصرة النبوية، تأليف :مصطفى المدنى